تواصل الوجود العربي من قَبْل الميلاد، ومِنْ بعده، ومن قَبْل الإسلام ومِن بعْده

1 - تواصل وجود العرب البائدة:

قسم المؤرخون العَرَبَ إلى: العرب البائدة، وإلى العرب الباقية، وقلنا في صفحات سابقة: هذا تقسيم غير صحيح، والعرب البائدة في مفهومهم: هي الشعوب والقبائل التي وجدت قبل الميلاد، مثل عاد وثمود والكنعانيين. إلخ.

ونحن نقول: إذا كانت العرب التي سموها قد بادت، وهم الجذور والأصل، فكيف وُجدت العرب الباقية؟ إن القول بإبادة الأمم العربية العتيقة العادية، والثمودية، والكنعانية يعني: أن العرب الذين جاؤوا من بعدهم هم عرب بلا جذور، وأنهم جاؤوا من خارج الجزيرة العربية، وهذا كلام باطل.

وقد قلنا: إن «البائدة» تعني أن الباقين منهم لا يستطيعون أن يذكروا نسباً موصولاً؛ كالأنساب المتسلسلة التي تُذكر للعرب الباقية.. مع أن كثيراً من أنساب العرب الباقية غير موثوقة، وخصوصاً إذا امتدت ووصلت إلى سام بن نوح.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه: أن العرب التي يصفونها بأنها بائدة، لها استمرارية وديمومة، شهادات علماء الأجناس، وقبائل ما زالت موجودة، أو كانت موجودة في العصر الإسلامي، وتُنسب إلى شعوب قالوا: إنها «بائدة».

أ ـ قال ظفر الإسلام خان في كتاب «تاريخ فلسطين القديم» (ص 29): «ولا مجال للشك في أن عرب فلسطين اليوم (في القرن العشرين الميلادي) هم أخلاف الكنعانيين واليبوسيين والفلستينيين الذين صمدوا في الأرض، رغم كلِّ الغزوات الخارجية المستمرة».

ونقل قول الأستاذ فريزر: «إن رأي الفقهاء الأكفاء من أهل الخبرة والمعرفة أن فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية، أخلافُ القبائل الوثنية التي كانت تعيش هناك قبل

زمن موسى، وظلت أقدامهم ثابتة في التربة منذ ذلك التاريخ، وتوالت عليهم موجات الفتح المتعاقبة التي طغت على البلاد دون أن تحطمهم».

ونقل أيضاً قول السير ريتشارد تمبل سنة 1888م: «إن الفلاحين في فلسطين، هم الأخلاف الأصلاء للكنعانيين الذين ورد ذكرهم في «التوراة»، إنهم أخلاف اليبوسيين والعموريين.. ولا يكونون قد تحولوا إلى المسيحيّة بأعداد كبيرة في أيامها الأولى، إنهم قد أقاموا على عبادتهم القديمة للأوثان حتى جاء محمد.. إنهم يفلحون الأرض كفلاحين مُلاّك من الدرجة الأولى..

قال أبو أحمد: وهذا كلام يقرّه النقل والعقل: لأننا إذا تتبعنا أخبار الغزوات التي اجتاحت أرض فلسطين وبلاد الشام بعامة، نجد أنها في عمومها غزوات احتلال وسيطرة، ولم تكن غزوات تهجير.

.. فقد غزا المصريون الفراعنة فلسطين في الألف الثاني قبل الميلاد، وكانوا يكتفون بوضع حاميات عسكرية، أو عقد عهود الحلف والحماية مع الممالك الوطنية. ووصلتنا أخبار الغزو الآشوري، فكانت تهدف إلى جعل بلاد الشام مناطق نفوذ لهم، وقل مثل ذلك في الغزو الفارسي، واليوناني، والروماني، وكانت كلها في مدّة ما قبل الميلاد، ولا تكاد تختلف عن صورة الاستعمار الأوروبي للبلاد العربية، والأفريقية، والهند.. كان يدير البلاد بحاميات عسكرية، ويتغيّر المحتل، وتذهب الحاميات العسكرية، ويأتي غيرها.. ويتغير المحتل، ويبقى الشعب ثابتاً في مكانه.. ولم نعرف أن غزواً ثبت وجوده في التاريخ، قد أزال الشعب إزالة كلية عن أرضه. وهذا الشعب الباقي هو الشعب الكنعاني أو اليبوسي، أو العموري، أو الآرامي، أو ما شئت من الأسماء، فكيف يقال: إنها من الشعوب البائدة؟ إن القول بـ «الإبادة» قول يهودي توراتي، جاء في التوراة الكاذبة، التي كتب مؤلفوها تاريخاً كاذباً، وزعموا أن قادتهم قد أبادوا سكان أرض كنعان (فلسطين) بناء على أمر (ربّ اليهود)..

هذا، وإن علْم الأنساب ـ لمن كانوا قبل الميلاد ـ أخذه النسابون العربُ من كتاب يهود، ولذلك نراهم ينسبون كلَّ الأنساب القديمة إلى «سام» بن نوح، الذي ليس له وجود إلا في كتاب يهود، أقصد (سام).. والله أعلم.

ب ـ ويذكرون من شعوب العرب البائدة: الكنعانيين، وطسم، وجديس، وعاداً، وثمود، وعمليق، وجرهم.. إلخ.

قال الطبري: «.. فعاد وثمود والعماليق وأميم، وجديس، وطسم، وهم العرب.. لسانهم الذي جُبلوا عليه لسان عربيّ» [جـ1/ 402]، ومع ذلك ذكر المؤرخون قبائل موجودة في القرن العشرين، منسوبة إلى هذه الشعوب التي وصفوها بالبائدة، فكيف تكون «بائدة» ولها أعقاب؟.

فذكر الألوسي (محمود شكري) (ت 1924م) في كتابه «تاريخ نجد» أن «المريخات» من مُطير من عشائر نجد، بطن من بني «طسم» من العماليق العرب البائدة.

وفي كتاب «تاريخ شرق الأردن وقبائلها» أن المطيريين في البلقاء هم فرع من «مطير» النجدية. وحمولة «المطرية» في الفالوجة من أعمال غزة، من مطيرات البلقاء، فهم إذن من سلائل «طسم».

وقال الدباغ في كتاب «القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين» (ص14): «هذا ما تمكنا من العثور عليه من صلات «طسم وجديس» في وطننا (فلسطين)، فرأيناها في الأغوار والبلقاء وسهول غزة، وما تزال بقاياهم موجودة، وإن كانت قد نُسِّيَتْ اسمَها».

وفي ترجمة «عاد، وثمود» من الشعوب «البائدة» أن قبيلة «عاد» المذكورة في القرآن ـ قوم النبي هود ـ أقدم القبائل العربية «البائدة» يضربون بهم المثل في «القدم»، فكانوا ينسبون الشيء الذي يريدون أن يبالغوا في قدمه إلى «عاد» فيقولون: إنه (عاديّ)، وإن رأوا أثراً قديماً أو أطلالاً قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها قالوا عنها: إنها «عاديّة»؛ أي: من أيام «عاد»، وفي كتب الجغرافية القديمة «بئر عاديّة»؛ أي: محفورةٌ من أيام عاد، ونقل الدباغ عن (دوتي) عام 1888م: أن بدو (نجد) يذكرون أن قبيلة بني هلال من نسل عاد وثمود.

وفي تقاليد شيوخ قبيلة التياها في بلاد بئر السبع (بفلسطين) أن أصلهم من بني هلال. والرواجفه من اللياثنة في ناحية وادي موسى من بلاد (معان) في شرق الأردن

هم أيضاً من أعقاب بني هلال. وقيل في ترجمة قبيلة «ثمود» «البائدة»: إن «ثقيف» القبيلة المعروفة في الحجاز، هي من بقايا ثمود.

وإن قبيلة (الحويطات) ـ في الأردن والسعودية وفلسطين ـ من حفدة الأنباط، ومن بقايا القبائل القديمة التي وجدت في بلاد ثمود ومدين.

وفي ترجمة «مَدْين» بلد النبي شعيب أو قبيلة شعيب: أن قبيلة جُذام العربية ـ كان اسمها مشهوراً في صدر الإسلام ـ المنتشرة أحفادها في مختلف أنحاء فلسطين، وعشيرة «حسنات أبي معيلق» من قبيلة الترابين ـ في بئر السبع ـ و«اللياثنة» في وادي موسى من جهات (معان) هم من أعقاب المدينيين. وأن مجموعة «الحلالات» من هؤلاء اللياثنة نزلت حول اللد. وحمولة «السعافية» في الفالوجة ـ فلسطين، وبعض سكان (كرتيا) في فلسطين، يعودون بنسبهم إلى اللياثنة.

2 - الوجود العربي الأخير (العرب الباقية) قبل الإسلام وبَعْده؛ في الشام:

يقسم المؤرخون (العرب الباقية) إلى عرب عاربة، وعرب مستعربة، وقد رأينا فيما سبق: أن هذا التقسيم خاطئ، وهو متأثر بالفكر التوراتي.. وأفضل أن أقول: إنهم عرب قحطانيون، وعرب عدنانيون.. وإن الأصل واحد، يوصلهم إلى إسماعيل، أو إبراهيم، أو إلى مَنْ هو أبعدُ منهما.

وقد دخل العرب بلاد الشام قبل الإسلام، وأخذت قبائلهم تقيم فيها وتستقر في مختلف بقاعها.

ولابُدَّ من القول: إن عدد العرب في بلاد الشام ـ ومنها فلسطين ـ قد زاد بالتوالد وتتابع الهجرة؛ لأن الشام كانت ملجأ العرب منذ سنوات بعيدة قبل الإسلام.

ولأسباب كثيرة، لا مجال لحصرها ـ كان الوجود القحطاني، أو اليمني في فلسطين والشام ـ قبل الإسلام، وبعده ـ هو الأوسع والأكثر، ويكفي أن نذكر دليلاً على ذلك: أن الممالك العربية التي قامت في الشام والعراق، قبل الإسلام، كان ملوكها من أهل اليمن. (المناذرة في العراق، والضجاعمة والغساسنة في الشام).

وأن وفوداً من العرب اليمانية، وفدت على رسول الله في المدينة من فلسطين، وأسلموا قبل الفتح العربي الإسلامي (مثال ذلك وفْد تميم الداري وإخوته).

ويشهد لذلك قصة الإمام الشافعي؛ حيث نقل ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» (ترجمة محمد بن إدريس) رواية عن الشافعي أنه قال: وُلدتُ باليمن. وقد اتفق أكثر الرواة على أنه وُلد في «غزة». قال ياقوت: فتأول بعضهم قوله: «باليمن» أي: بأرض أهلها وسكانها قبائل اليمن. وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها. قال ياقوت: وهذا عندي تأويل حسن، إن صحت الرواية.

ويشهد لذلك أيضاً ما ذُكر في تاريخ فتح مدينة «غزة»: أن أحد خصيان الروم أبى أن يدفع للعرب الذين كانوا يحمون مداخل الصحراء المال الذي كانت تنقدهم إياه الدولة فيما سبق، فاتحدوا مع العرب المسلمين، واقتحموا وإياهم البلاد حتى مدينة غزة؛ حيث أحرز العربُ أول انتصاراتهم على الروم، وكان ذلك نهار الجمعة 4/ 2/ 634م، أما هؤلاء العرب القاطنون على الحدود، فكانوا من قبائل لخم، وجذام، وغيرها من القبائل الطائية اليمانية القحطانية.

3 - وهذه أشهر القبائل اليمانية التي سكنت فلسطين والشام، وبعض القبائل والعشائر والعائلات التي تنتسب إليها في العصر الحديث:

• **قُضاعة:** جدّ جاهلي قديم، لا يعرف أحد من المؤرخين زمن وجوده على وجه التحديد. قيل: إنه يماني قحطاني، وقيل: إنه عدناني، ورَجح كونه من اليمن.. انتسب إليه شعب «قضاعة».

وفي عهد «قُضاعة بن مالك» نزل جماعة من الشعب القضاعي الشام، فكانوا أول مَن استقرَّ في هذا القطر - أي: من الجيل العربي الأخير -، وهذا من باب الظَّن؛ لأننا لا نعرف تاريخ شعب قبله.. وعندما انتشرت المسيحيّة، تنصّر هؤلاء العرب، وانضافت القبيلة إلى الرومان الذين أخذوا يستعملونها على البادية الشاميّة. ورجحوا أن ذلك كان في القرن الأول للميلاد. ففي عهد الإمبراطور طيطس (79 - 81م) نودي على «ضجعم» أحد زعماء قضاعة ملكاً عليها، فكان المؤسس الأول للدولة، التي حملت اسم «الضجاعمة»، وفي عهد هذه الدولة انتشرت قضاعة في المناطق الواقعة بين جبل الشيخ وجبال فلسطين، والبلقاء، والغور، ثم امتلكت ما بين الشام والحجاز والعراق، وفي العقبة وجبال الكرك.

وبقي الملك في الضجاعمة، إلى أن غلبهم الغساسنة، وحكموا محلهم.

وعُرف من قضاعة «سليمان المشجعي» الذين كان وزيراً لمعاوية في فلسطين، واتخذ قرية البطاني - من قضاء غزة - ضيعة لمعاوية، وينسب إلى بني قضاعة «بنو قدامة» الذين كانوا في جماعين - قضاء نابلس - ونزلوا دمشق أيام الغزو الفرنجي، وبنوا مدينة «الصالحية»، وأقاموا فيها المدارس والمساجد.. وينسب إلى هذه العائلة العلمية في دمشق: آل النابلسي، وآل الحنبلي.

• وفي «قضاعة» بطون وشعوب، وقبائل، نذكر منها مَنْ نزلوا في بلاد الشام، أو فلسطين:

• قبيلة «كلب» بن وَبَرة، من قُضاعة: كانوا في الجاهلية ينزلون «دومة الجندل» في شمال السعودية، و«تبوك»، وأطراف الشام، ووادي القرى. ونزلت طوائف منهم «الغور» وجنوبي عكا، والساحل، في أوائل الحكم الأموي. وكان في سنة فتح الشام أقوام منهم في حلب، وبلادها، و«شيزر» في نواحي مدينة حماة، وتدمر، والسويداء.

قال ابن خلدون (جـ2/ 521): كانت لكلْب[1] دُومة الجندل، وتبوك، ودخلوا في دين النصرانية، وجاء الإسلام والدولةُ في «دُومة الجندل» لأكيدر بن عبد الملك

---

(1) قال الجاحظ في كتاب «الحيوان»: «والعرب إنما كانت تسمي بـ كلب، وحمار، وجمل، وحنظلة، وقرد، على التفاؤل بذلك، وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل، فإذا سمع إنساناً يقول: حجر، أو رأى حجراً، سمّى ابنه به، وتفاءَل فيه الشدَّة والصلابة، والبقاء والصبر، وأنه يحطم ما لقي، وكذلك إذا سمع إنساناً يقول: ذئب، أو رأى ذئباً، تأول فيه الفطنة والمكر والكسب، وإن كان حماراً، تأول فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجلد، وإن كان كلباً، تأول فيه الحراسة واليقظة، وبُعْد الصوت، والكسب».

وقال ابن القيِّم في كتاب «مفتاح دار السعادة»: كانت للعرب مذاهب في تسمية أولادهم: فمنهم مَنْ سمى تفاؤلاً بالظفر على الأعداء. نحو: غالب، وظالم، ومقاتل، ومنهم مَنْ تفاءَل بنيل الحظوظ، والسعادة: كسعد وسعيد وغانم. ومنهم مَنْ قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام، تفاؤلاً بالقوة؛ كحجر وصخر.. ومنهم مَنْ يسمي باسم أول ما يلقاه، من سَبُعٍ أو كلب.

السُّكوني. وكانت «تدمر» عاصمة كلب ومقر قيادتهم، وفي وقت ما، هاجر بنو كلب إلى الغور.

ومنهم: «بنو بكر» كانوا مع جموع الروم في فلسطين مع غيرهم من «بهراء» ولخم وجذام ضد المسلمين في معركة مؤتة (سنة 8هـ).

ومن آثار قبيلة «كلب» قرية «الدّحْي» في قضاء الناصرة، منسوبة إلى الصحابي «دحية الكلبي» حامل رسالة رسول الله إلى قيصر الروم سنة (6هـ).. وهو دحية بن خليفة.. بن عامر.. وإلى الجدّ «عامر» أضيف المرج المشهور فقيل: «مرج ابن عامر»، أو «مرج بني عامر».

وبعد الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام، كانت الرياسة لبني بحدل بن كلب.. ولذلك صاهرهم معاوية، فتزوج ميسون بنت بحدل الكلبية، وهي أم ولده «يزيد»، وهم الذين أيدوا مروان بن الحكم يوم مرج راهط (في نواحي دمشق) ضد أنصار ابن الزبير عام 684م.

ومن أعقاب بني كلب: بنو منقذ ملوك شيزر في نواحي مدينة حماة السورية، ومنهم «أسامة بن منقذ» الأديب الفارس المشهور أيام الغزو الفرنجي الصليبي.

ومن أحفاد قبيلة «كلب» في فلسطين «عشيرة السراحين» في قضاء بئر السبع، والهديبات (هديب) في جبل الخليل، و«الفحيلي» من عشائر قضاء طبرية.

وينسب إلى قبيلة «كلب» في شرقي الأردن: «العوران»، فهم فرع من عشيرة «اللحاوي» من «الشرارات» من بني كلب القحطانية، ويقيمون في قضاء الطفيلة. والرواشدة، والخصاونة، من الشرارات من بني كلب. ويقيمون في نواحي الكرك.

و«سهل البقاع» في لبنان دُعي «بقاع كلب»، وهناك «نهر الكلب».

• قبيلة «بَلِيّ» على وزن «فعيل»، والنسبة إليها «البلوي»: قبيلة عربية قضاعية، من اليمن. وكانت منازلها قبل الإسلام منتشرة في الجزء الجنوبي من الشام، في بلاد ثمود، بين مواطن جهينة وجذام، إلى جبال الشراة ـ شرقي الأردن ـ وإلى معان وأيلة (العقبة) من فلسطين، واجتاز جماعة منهم البحر إلى مصر، وانتشروا فيها.

واشترك قوم من (بليّ) مع الروم في محاربة العرب المسلمين يوم غزوة مؤتة سنة (8 هـ).

وفي السنة التاسعة من الهجرة (630م) عام الوفود، قدم وفد بليّ على رسول الله برياسة رويفع بن ثابت ـ أبي الضبيب ـ، وأعلنوا إسلامهم وولاءَهم..

وفي معركة اليرموك سنة 15هـ عادت بليّ وانضمت مع لخم وجذام إلى الروم.

قال المقريزي في كتاب «البيان والإعراب عما بمصر من الأعراب»: وبليّ: قبيلة عظيمة فيها بطون كثيرة، وكانت «بليّ» بالشام، فنادى رجل من بليّ بالشام: يالقضاعة! ـ وهي دعوة جاهلية ـ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب إلى عامل الشام أن يسيّر ثلث قضاعة إلى مصر، فنظروا فإذا «بليّ» ثلث قضاعة، فسيّروا إلى مصر، وتفرقت بها.

وفي حوران ـ سورية ـ قرية بلفظ «بْلي» لعلها منسوبة إلى هذه القبيلة.

و«عرب البلاونة» في فلسطين وشرقي الأردن، يُنسبون إلى قبيلة «بليّ»، ومنهم عشيرة «أبو سليسل» و«الظُّلام» في قضاء بئر السبع، وعرب «الفقرا» في قضاء حيفا.

وفي شرقي الأردن «بنو عطا» في وادي موسى. والسلايطة، والشخاترة، والشبيكات. والشرايرة في إربد، والزفافة، ومنازلهم في «اليادودة» و«خربة السوق» في محافظة عمان، و«غور البلاونة» أخذ اسمه منهم، وفيه مزار أبي عبيدة بن الجراح.

• وقبيلة جُهينة:

كانت منازلها في الأصل في (نجْد)، وعند ظهور الإسلام كانت تقيم ما بين المدينة وينبع ووادي القرى (العلا)، وقبيل الفتوحات العربية الإسلامية كانت جهينة ومَنْ يخالطها من القبائل العربية تنزل في «الجولان»، وحوران، والغور الفلسطيني.

وبعد الفتوحات انتشرت جهينة في أنحاء الشام ومصر.

ومن بطون هذه القبيلة في فلسطين «حامولة الجرادات» التي تعود بأصلها إلى عشيرة المشاعلة الحجازية، نزل أجدادهم شرقي الأردن، ومنها نزحوا إلى قرية «سعير» في قضاء الخليل، ثم انتشروا في جولس (قضاء غزة)، و«دير الغصون» قضاء طولكرم، و«سيلة الحارثية» قضاء جنين.. وفي يافا يعرفون باسم «عائلة الطاهر».

ومن بطون جهينة في فلسطين «الضواحك» في برية الخليل. وعشيرة «الجبور» إحدى بطون «الكعابنة» في شرقي الأردن تحمل اسم «جهينة».

• بنو جرم:

بطن من قضاعة اليمانية، وهو جَرْم بن ربَّان: ظهر منهم قبل الإسلام عصام الجرمي، الذي قبل فيه: «نَفْسُ عصام سوّدت عصاما»، وكان حاجب النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

قال ابن خلدون: بنو جرم: بطن كبير، وفيهم كثير من الصحابة، ومواطنهم ما بين غزة، وجبال الشراة من الشام..

وقال: وغزة: من مواطن جرم إحدى بطون قضاعة.

ومن أعقاب جرم في فلسطين، وحوران، ومصر: آل عزّام. و«العزازمة» من قبل بئر السبع.

• بنو قُدامة:

من بطون قضاعة، وهو قُدامة بن جرم بن ربّان، كانت مواطنهم في نواحي «جماعيل» من قضاء نابلس، وفي أيام الغزو الفرنجي نزحوا إلى دمشق، وبنوا حيّ «الصالحية».

من أشهر رجالاتهم موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت 630هـ)، وُصف بأنه إمام الأئمة، ومفتي الأمة. من أشهر تآليفه «المغني» في الفقه..

وكان لآل قدامة فضل القيام على خدمة المذهب الحنبلي.

عُرفوا في دمشق فيما بَعْد باسم «آل النابلسي»، عُرف منهم إسماعيل بن عبد الغني النابلسي (1017 ـ 1062هـ) فقيه وأديب، وابنه الشيخ عبد الغني النابلسي (1050 ـ 1143هـ)، وما زال أعقاب العائلة في دمشق، ومنهم الشيخ راتب النابلسي.

• قبيلة «بهراء»

والنسبة إليها: بهراوي وبهراني، وهي بطن من قضاعة، كانوا مع البيزنطيين في أثناء الفتح العربي الإسلامي، يعني أنهم كانوا يقيمون في الشام قبل الفتح.. كان

يستقر أكثرهم في «حمص» من رجالات هذه القبيلة المقداد بن الأسود صاحب رسول الله، وله أعقاب كثيرون في فلسطين والأردن وسورية: فالمقدادية في «حمامة» من قضاء غزة، وفي طول كرم والطيبة عائلة «المقدادي»، وفي قريتي «صير» و«عجة» من قضاء جنين، و«قبيلة الصقور» في قضاء بيسان ترجع إلى أحفاد المقداد، وفي «حوران» سورية عائلة المقدادي، وفي قرى شمال الأردن عائلات تنتسب إلى المقداد[1] في «بيت ايدس»، و«عرجان»، و«حاتم».

• بنو عُذْرة:

بطن من قضاعة. كانت منازلهم قبل الإسلام في شمال الحجاز، ثم امتدت إلى العقبة، ودومة الجندل، وانتشروا بعد الفتوحات الإسلامية في مصر والشام، ولهم بقايا فيها. وينسب إليها قبيلة «بني حسن» المستقرة في أطراف جرش ـ شرقي الأردن ـ، وحمولة «غازي» في قرية «جمّاعين» من قضاء نابلس.

---

(1) جاء في الأثر «المؤمن مؤتمن على نسبه»، أو: «الناس مؤتمنون على أنسابهم»، أو «مصدقون في أنسابهم»، وفي الحديث الصحيح: «ليس مِنْ رجل ادعى لغير أبيه ـ وهو يعلمه ـ إلا كفر بالله، ومَنْ ادعى قوماً، ليس له فيهم نسبٌ، فليتبوأ مقعده من النار». فهذه كلها موانع من ادعاء النسب. ومَنْ قال: إنه ينتسب إلى جدّ، يُصدّق فيما قال؛ لأنه لا ينفي جداً يعلمه، وإنما يثبتُ لنفسه نسباً ولو كان ظنياً. والله أعلم.

قلتُ: إلا إذا أثبت العلماءُ بالنسب كذب المدّعي بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية؛ كقوم يدعون النسب الفلاني لميراث أو لمنفعة مالية، أو سياسية. فقد ادعى «الفاطميون» النسبة إلى «فاطمة»، وجاء العلماء بالأدلة على كذبهم. وادَّعى اليهود في القرن العشرين النسبة إلى إبراهيم، فجاءت الأدلة النقلية والعقلية تنفي هذا الادعاء، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾، ومن ذلك نسبتهم المتيقنة إلى عروق بعيدة عن إبراهيم كاليهود الروس، ويهود الخزر، ويهود الدنمة، ويهود الفلاشا ـ من الحبشة ـ وغيرهم. ومن ذلك نسبة الأكراد وغيرهم صلاح الدين إلى عرق كردي، والحقيقة أنه عربيّ عاش بين الأكراد. وادّعاء الزعامة الكردية نسبة قوميّة خاصة منفصلة عن الجنس العربي، وهناك أدلة على أنهم عربٌ قحطانيون. وادعاء الأمازيغ في المغرب (الذين يسمون: البربر) نسبة خاصة، وقد أثبت التاريخ نسبتهم إلى الجنس العربي. والله أعلم.

• **القَيْن بن جَسْر:**

بطن من قُضاعة اليمانية: كانت منازلهم في أطراف الشام، وكان لهم جمْع وثروة. نزل أقوام منهم الغور الفلسطيني، واستقر آخرون في بلاد «مَدْين» من جنوبي فلسطين، وفي منطقة الخليل..

وفي سنة 171هـ قامت فتنة بين القيسيّة واليمنية، سببها نزاع وقع بين رجل من «القين»، وآخر من «لخم» في البلقاء، فاستنجد القينيون قيساً، فأجابوهم، واستنجد الآخرون اليمنية، مما أدى إلى معارك دمويّة.

• **قبيلة «طيّئ»:**

على وزن «سيّد» أو «طيّ» على وزن «حيّ»، وترجع هذه القبيلة إلى «كهلان» اليمانية.

وقد تفرّقت طيّ بالأمصار سنوات الفتح العربي.

قال ابن خلدون: «في بلادهم أمم كثيرة تملأ السهل والجبل، حجازاً وشاماً وعراقاً. وهم أصحاب الرياسة في العرب بالعراق والشام، وبمصر منهم بطون» [جـ2/ 530].

ومن أشهر الطائيين في فلسطين: «بنو ثعل»، نزلت جماعة منهم في قرية عبسان من قضاء غزة.

و«بنو الجراح»: الذين أسسوا إمارة في البلقاء والرملة، استمرت من (360 ـ 420هـ).

وفي عهد «نور الدين زنكي» (511 ـ 569هـ) نبغ من أحفاد آل الجراح «ربيعة»، الذي كوّن إمارة في ظل نور الدين ووالده. وبعد وفاته تمكن ولده «فضل» أن يصبح رأس قومه على البادية بين الشام ونجد والعراق.

وقد أبلى «آل الفضل بن ربيعة» البلاء الحسن في محاربة الإفرنج، وفيهم بطون، منهم: آل عيسى. ومن أمرائهم «مهنا الأول» الذي حضر مع قطز معركة عين جالوت (658هـ).

ومن أحفاد آل الفضل بن ربيعة في الشام «أبو ريشة» أمراءُ عشيرة الموالي وطوقان ، ومن فروع آل طوقان في نابلس: خليفة، والخواجة، والأغوات، والبيكات، ورحّال، واسعيد، وعبد الرزاق. ومن أحفادهم: الفاعور، وكعوش في قضاء صفد.

وإلى آل الفضل تنسب حمولة الريماوي، من «بيت ريما» في قضاء رام الله، وعرب الخريفات (قضاء طبرية)، وعرب العيسى في شمال شرقي الأردن وجبل العرب (الدروز)، والصنابحة في محافظة عمان.

ومن بطون طيّ:

بنو سُنْبس: والخزاعلة من بطونها: كانت تنزل جنوبي فلسطين و«دير البلح». وينتسب إلى الخزاعلة عشيرة «الروسان»في شرقي الأردن. ومنهم كانت قبيلة الحارثية في قضاء جنين.

وعشيرة «وادي الحوارث» في قضاء طولكرم. و«الحمّام» و«الغنّامة» من عشائر قضاء صفد. وبنو رُميح (الرمحي) من الخزاعلة في قرية المزيرعة، من أعمال الرملة.

و«بنو ثعلبة» بطن من طيّ: ولما نزل الملك الظاهر بيبرس غزة سنة 661هـ، خلع على أمراء ثعلبة الخلع، وضمنهم بلادهم، وألزمهم تقديم الزكاة المطلوبة منهم، وأن يقوموا بخدمة البريد، وإحضار الخيل اللازمة له..

ومن فروع ثعلبة: البَقَعة، والجواهرة، ودرْما، وشبل، وزريق، ومن بطونهم المشاهرة في غزة.

والعقيليون، ومن أحفادهم آل الشوّا في غزة.

والطليحيون؛ والشعوث، ومن أحفادهم: الشعوث في قضاء غزة. والصبيحيون: في قضاء بئر السبع، والمشاطبة.

وبنو «جَرْم»، وبلادهم غزة، والداروم (دير البلح) مما يلي الساحل إلى الجبال، وبلد الخليل.

ومن أشهر بطون جرْم:

قمران (على ساحل البحر الميت)، والقَدَرة: في إقليم النقب الفلسطيني، والأحامدة، أو الحمدات في قضاء غزة. والعبادلة في خان يونس (القرارة) وبنو بها، في وادي البها، قضاء غزة.

ومن أعقاب «بني جرم»: العويسات في «بير معين» من قضاء الرملة، وعائلة «عويس» في يافا.

• ويرى مصطفى مراد الدباغ: أن قبيلة «طيّ» تعرف اليوم باسم «شَمَّر»، وهي منتشرة في نجد والعراق والشام، ومن الذين ينسبون إلى «شمّر» في جنوبي الشام: عشيرة الغيالين من تابعي بني صخر في شرقي الأردن، وعشيرة «الحجايا» من الكرك، وعشيرة «العربيات» في السلط.

والصوايحة من عشيرة الجبارات، والرماضين في قضاء بئر السبع، و«الجربان» في «يعبد» من قضاء جنين، وإليهم تنسب قرية «جربا» في قضاء جنين، و«جربا» في شرقي الأردن.

وفي قرية «بيتا» من قضاء نابلس حمولة «بني شمسة». و«العجاجرة» في الغور النابلسي.

• **بنو زبيد:**

من كهلان القحطانية اليمانية. والعشائر الزبيدية منتشرة في الشام وفلسطين. وقسم من قبائل شمالي فلسطين يعودون إلى «زبيد»، منهم: «السواعد»، و«الطوقية» في قضاء عكا، و«زبيد»، و«الشمالنة» في ديار صفد، و«سعيدان» في ديار حيفا، و«الهيب» في بلاد الجليل، ومنهم: العرامشة والفريحات في جبل عجلون شرقي الأردن.

وينتشر «الهيب» في الجولان، وفي شمال سورية والعراق، و«الديكة» الموجودة في شرق الأردن فرع زبيد في جبل العرب (الدروز).

ومن العائلات الفلسطينية التي تعود بنسبها إلى زبيد: «أبو شعبان»[1] في غزة [عن: القبائل العربية ـ للدباغ/ 101]. والعزّة: في الخليل، ويافا، وبيت جبرين، وعجور. و«الشرابي»[2] في نابلس.

---

(1) نقل عثمان الطباع في كتابه «إتحاف الأعزّة بتاريخ غزة»: أن أصل عائلة «الفرا» في خان يونس، من مصر، وأن جدهم حسن قدم من مصر، وله أربعة أولاد، الأول اسمه «حسن» كاسم أبيه، عاد إلى مصر. والثاني: محمد، سكن دمشق. والثالث: أحمد، بقي في خان يونس، ومنه عائلة الفرا. والرابع: اسمه «شعبان» سكن غزة. ونقل هذا الكلام الدكتور محمد علي الفرا، في كتاب «خان يونس»، وكتب في الحاشية أن «شعبان» هم عائلة «أبو شعبان» في غزة. وهذا يعني أن «الفرا» في خان يونس ودمشق من قبيلة زبيد، إن صحت الرواية. والله أعلم. وفي الرقّة السورية، وفي نواحي حلب عشيرة «أبو شعبان»، وفي حمص فرقة تعرف بأبي شعبان. وشعبان بن عمرو: بطن من حمير.

(2) والشرابيون (المفرد ـ شرابيّ) عشيرة في الجزيرة السورية، تلتحق بالجبور، وفي عكا، أو حيفا «شرابي»، منهم «هشام شرابي» في أمريكا. وفي قرية «عورتا» من قضاء نابلس: قبيلة «شُرّاب» أو «الشرارية» ويجاورها «خربة شراب». فهل هناك علاقة بين «الشرابي» في نابلس، و«شراب» في عورتا؟ ليس عندي جواب شاف. ولكن شراب «عورتا» قيل: إنهم يمتّون بالنسب إلى «شُرّاب» غزة، وخان يونس والعريش. و«شراب» غزة، عندهم حجة من محكمة صفد الشرعية ـ في العصر التركي ـ توصل نسبهم إلى العباس عمّ النبي محمد ﷺ، ومن سلالة خلفاء بني العباس، فإذا صحت نسبة «شراب» «عورتا» إلى «شراب» غزة، تكون الصلة مبتوتة بين «شرابي» نابلس، و«شراب» عورتا؛ لأن «شرابي» نابلس تنتسب إلى القبائل اليمانية، وشراب خان يونس ينتمون إلى الفرع العربي العدناني. وفي «معجم قبائل العرب» لكحالة، عشيرة «الشراب» قال: عشيرة من الزيود، من الجبورية، من عباد إحدى قبائل منطقة البلقاء. ونقل أن جدّهم قدم من فلسطين في القرن السابع عشر الميلادي حوالي سنة 1620م، ولم نعرف من أي جهات فلسطين جاؤوا.. هل جاؤوا من قضاء نابلس، أو من قضاء غزّة؟.

والجواب عن السؤال، يحدد نسبة «شراب» عورتا، هل هم عدنانيون مع أهل غزة، أم يمانيون مع «شراب» شرقي الأردن؛ حيث قيل: إن «شراب»البلقاء من الزيود المنتمين إلى «الجبور»، وهم من «عباد»، وهذه الأخيرة تنسب إلى تنوخ اليمانية.

قلتُ: إن النسبة إلى عشيرة كبرى في زمن غابر، لا يعني نسبة الدم، وإنما هي نسبة الحلف، والموالاة، والنصرة، والله العالم بالحقيقة.

• قبائل بني عديّ القحطانية:

وهم: «عاملة»، و«جذام»، و«لخم».

قال اليعقوبي المتوفى سنة 292هـ: إنَّ سكان جنوب فلسطين أخلاط من العرب: لخم، وجذام، وعاملة، وكندة.

• عاملة:

اسم الجد: الحارث بن عديّ، و«عاملة» اسم أمّه. ووجود قبيلة عاملة في بلاد الشام قديم. فقد ذُكر أن بطوناً من قبيلة «عاملة» كانت خاضعة «لزنوبيا» ملكة تدمر (267 ـ 273م)؛ مما يدل على عمق جذور هذه القبيلة في البلاد الشاميّة.

وكانت منازلهم قبل ظهور الإسلام في «وادي التيم» الواقع بين جبال البقّاع والمنخفض الغربي لجبل الشيخ، وكانوا قبل ذلك في المنطقة الجنوبية الشرقية للبحر الميت.

وتنصرت قبيلة عاملة.. كما تنصرت غسان وسليح ولخم وجذام، وساعدت هرقل ـ آخر أباطرة الروم قبل الفتح الإسلامي ـ في كثير من حروبه ضد العرب المسلمين.

ووصف الهمداني في كتاب «صفة جزيرة العرب» بلاد «عاملة» فقال: «وأما عاملة، فهي في جبلها مشرفة على طبرية، إلى نحو البحر».

وقال: «ديار عاملة: مجاورة للأردن، وجبل عاملة: مشرف على عكا من قبل البحر، يليها ويطل على الأردن» [ص 72، 74].

وقال المقدسي في «أحسن التقاسيم»: جبل عاملة ذو قُرى نفيسة، وأعناب وثمار، وزيتون وعيون، المطر يسقي زرعهم، يطل على البحر ويتصل بجبل لبنان». (ص 162).

وبلاد «جبل عامل» تقع بين «نهر الأوّلي» الذي يصب في البحر شمالي صيدا، ووادي القرن الذي ينتهي شمال قرية «الزيب» في فلسطين، وبين البحر المتوسط في الغرب، وبحيرة الحولة وأطرافها في الشرق. وهو قسمان: شماله من أعمال لبنان، وجنوبه في فلسطين المحتلة. من مدنه وبقاعه: صفد، وجبل جرمق، والبصة.

• قبيلة «جُذام»: من بني عدي، من العرب اليمانية[1] كما نقول النسَّابة.

وقال آخرون: إنهم من «مَدْين»، واستشهدوا لذلك بما روي أنه لما قدم وفد جذام عام (7هـ ـ 628م) لرسول الله في المدينة معلناً إسلامه، قال رسول الله: «مرحباً بقوم شعيب وأصهار موسى»[2].

---

(1) ويرى بعضهم أنهم من «مضر» العدنانية، وأنهم انتقلوا إلى اليمن فنزلوا بها، فحسبوا من اليمن. وقال قوم: إنهم من ولد قنص بن معدّ بن عدنان. وقال آخرون: إنَّ لخماً وجذاماً، وعاملة، هم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة.. بن عدنان. (جمهرة النسب لابن حزم 8، 9).

ولذلك شواهد قويّة: منها: تبويب البخاري نسبة اليمن ـ أي سكان اليمن ـ إلى إسماعيل، وروى أحاديث صحيحة. ومنها قول بعضهم: إن «جذام» من «مَدْين»؛ لقول رسول الله لوفدهم: «مرحباً بقوم شعيب وأصهار موسى»، وقيل في نسبة أهل مدين إلى إبراهيم عليه السلام: والعدنانيون من أولاد إسماعيل بن إبراهيم. وروى ابن سلام الجمحي في «طبقات الشعراء» قال: قام روح بن زنباع الجُذامي يوم الجمعة إلى يزيد بن معاوية، حين فصل بين الخطبتين، فقال: يا أمير المؤمنين! ألحقنا بإخوتنا؛ فإنا قوم معدّيون ـ نسبة إلى معدّ بن عدنان ـ والله ما نحن من قصب ولا من غاف ـ شجر اليمن، فألحقنا بإخوتنا ـ يريد مُضر، ومنها قريش ـ فقال يزيد: إن أجمع على ذلك قومك، فنحن جاعلوك حيث شئت.. فبلغ ذلك ناتل بن قيس الجذامي ـ وكان زبيرياً، من شيوخ جذام ـ. فجاء وقال ليزيد بن معاوية: بلغني أن روح بن زنباع قام فزعم أنَّه من معدّ، وذلك ما لا نعرفه، ولا نقرُّ به، ولكنا من قحطان.. لأنهم».

فلم تتمّ القصة؛ للعصبية، والعداوة السياسيّة. ولو تمَّ ما أراده روح بن زنباع، لكانت لخم وجذام، وعاملة من مضر؛ لأنهم إخوة. هذا، ورواية روح بن زنباع هي الأوثق، والأصدق؛ لأنه كان فقيهاً ثبتاً. وأما «ناتل» فكان من أصحاب الأهواء السياسية أو كما يقال: «فرقع لوز».

قلتُ: وما أكثر الزعماء الذين يرفضون الوحدة والتوحيد، خوفاً على فقدان المنصب السياسي، وقد حصل ويحصل هذا في النسب، وحصل ويحصل في الانتماءات المذهبيّة.

(2) هذا الحديث من رواية كتب التاريخ والأدب، وليس له سند صحيح. وفي معناه وقريب من لفظه، حديث سلمة بن سعيد العنزي (عنزة من أسد) أنه قدم على النبي ﷺ، فانتسب إلى «عنزة» فقال: «نعم الحيّ عنزة مبغيّ عليهم منصورون، رهط شعيب، وأختان موسى». قال ابن حجر في «الفتح» (جـ6/ 449): أخرجه الطبراني، وفي إسناده مجاهيل، يعني غير صحيح. وإذا صح اللفظ، فإنه لا يربط بين شعيب وموسى.. فالحديث ينسبهم إلى «مدين»، وقد أرسل شعيب إلى مَدْين. وذهب موسى إلى مَدْين، وتزوج من أهلها، ولكن لم يتزوج ابنة النبي شعيب. =

نزلت «جُذام» الشام، ومنها: فلسطين، ومصر، قبل الإسلام، فكانوا حول تبوك، وأيلة (العقبة)، وكانت منازلهم ما بين عمّان، ومعان، ومَدْين، وغزة، وكانوا هم وبنو كلب رأس القبائل القحطانية بالشام.

قال الهمداني في كتاب «صفة جزيرة العرب» تحت عنوان «مساكن مَنْ تشاءَم ـ نحو الشمال ـ من العرب»: وأما جُذام، فهي بين «مَدْين» إلى تبوك، فإلى «أذرح»، ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض (جُند الأردن) إلى اللجون، واليامون إلى ناحية عكا» [ص 272].

وتفرقت شعوب جُذام من ولديه: حرام، وحشْم، ومن حرام بنو أفصى، وبنو غطفان، وفيهما عدد جذام وشرفها. ومن بطونَ جُذام التي نزلت فلسطين قبل الإسلام «بنو نفاثة» من «حرام»، وكانوا يقيمون حول «العقبة» إلى ينبع البحر ميناء المدينة، وكانت لهم رياسة في «معان»، عرفنا منهم: «فروة بن عمرو بن النافرة» الذي كان يقوم بالعمالة للروم على معان وحولها، وهو الذي بعث إلى النبي محمد ﷺ بإسلامه، وأهدى إليه بعض الهدايا، ولما علم البيزنطيون بذلك، طلبوا من الحارث بن أبي شمر الغساني ـ ملك غسان ـ أن يقتله، فأخذه وصلبه عند

= وإرسال شعيب إلى مَدْين، أو أهل مدين ثابت بالقرآن: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾. قال البخاري: إلى أهل مَدْين؛ لأن «مَدْين» بلد، وقد ذهب موسى إلى مدين، كما جاء في القرآن: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: 24]. وأما الشيخ الكبير ـ الذي استأجر موسى؛ مهراً لإحدى بناته، فقد خبط أكثر المفسرين فيه خبط عشواء، متأثرين بكتاب يهود، فقال بعضهم: إنه شعيب النبيّ المذكور في القرآن، وهو قول الحسن البصري بدون سند إلى صاحب الوحي. وقال بعضهم: ابن أخي شعيب. وليس معهم حجة. وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب. والصحيح أن يقال: من قوم مَدْين، أو من أهلها. وروى ابن جرير عن ابن عباس: أن الذي استأجر موسى «يثرى» صاحب مدين: وهذا مأخوذ بلفظه من التوراة، واسمه فيها «يثرون». ثم قال ابن جرير: إن هذا لا يُدرك إلا بخبر، ولا خبر تجب به الحجة في ذلك.

وبناءً على ما تقدم، فإن الربط بين موسى، والنبي شعيب، غير صحيح. وقد استغل اليهود الربط بين موسى وشعيب؛ للربط بين اليهود وفرقة من المسلمين، بزعمهم وجود المصاهرة بين اليهود، وبين هذه الفرقة التي ترفع شعيباً مكاناً علياً، وتقدمه على غيره. وهذا من أضرار الإسرائيليات التي غزت كتب التفسير والتاريخ. والله أعلم.

مياه «عفرى»، قرب الطفيلة من أعمال الكرك، فكان فروة الجذامي أول عربي استشهد في فلسطين بسبب إسلامه.

ومما يشهد لسكنى «جذام» وفروعها في فلسطين قبل الإسلام: القصة التي رواها ابن حجر في «الإصابة» (جـ1/ 551) عن زنباع بن روح الجذامي، من بني أفصى بن حرام، من جذام، قال: إن عمر بن الخطاب خرج تاجراً في الجاهلية، مع نفر من قريش إلى الشام، فلما وصلوا إلى «فلسطين»[1]، قيل لهم: إن زنباع بن روح الجذامي يعشر[2] مَنْ يمرُّ به للحارث بن أبي شمر (ملك غسان)، قال: فعمدنا إلى ما معنا من الذهب، فألقمناه ناقة لنا، حتى إذا مضينا، نحرناها، وسلم لنا ذهبنا، فلما مررنا على زنباع، قال: فتشوهم، ففتشوهم فلم يجدوا معنا إلا شيئاً يسيراً، فقال زنباع: اعرضوا عليَّ إبلهم، فمرت به الناقة بعينها، فقال: انحروها، فقلتُ: لأي شيء؟ قال: إن كان في بطنها ذهب، وإلا فلك ناقة غيرها، وكلْها، قال: فشقوا بطنها، فسال الذهب، قال: فأغلظ علينا العُشر.

وقد وفَدَ زنباع من فلسطين على رسول الله في المدينة، وأعلن إسلامه، وله صحبة ورواية..

وقد انتشرت بطون جُذام في فلسطين، وما حولها، ولهم أعقاب باقية.. ومن بقية «بني نفاثة» من جذام: «بنو عائد»، وكانوا يقيمون بين بلبيس في مصر، إلى أيلة (العقبة)، والكرك.

وبنو «عقبة»، وهم من الكرك إلى برية الحجاز، وكانوا يضمنون السابلة ما بين مصر والمدينة إلى حدود غزة (عن ابن خلدون جـ2/ 535).

ولما نزل الظاهر بيبرس غزة عام (661هـ) خلع على أمراء العائد الخلع، وكان مما طلبه منهم القيام بخدمة البريد، وإحضار الخيل اللازمة له.

---

(1) فلسطين هنا: جند فلسطين، وكانت تشمل جنوب فلسطين، وجنوب شرقي الأردن، وأكثر تجارة قريش كانت مع غزة، حيث عقد هاشم بن عبد مناف معاهدة مع الروم للتجارة مع غزة.

(2) يعشر المال: أي: يأخذ عشره.

وإلى عرب العايد تنسب عشائر «العايد» من مجموعة وحيدات الترابين. و«العايدي» من التياها. و«العيايدة» من «نجمات أبي صبيهان» من الترابين في بلاد بئر السبع. كما تنتسب إليها عائلة «هيكل» في يافا.

ومن أعقاب «بني عقبة» أو «بني مخرمة»: عائلة «عمرو» في جبل الخليل، وآل «الحاج محمد» في نواحي نابلس، وعشيرة «بني عقبة» من التياها، والجبارات[1] في بئر السبع، والشبول، والربيع في الأردن، وعرب السواحرة في بيت لحم، وعشيرة «الثبيت» في قضاء رام الله.

ومن «جذام»: أبو شرخ، ومن أعقابه عائلة «أبو شرخ» في مجدل عسقلان. ومن الجذاميين: «المهاودة» من بني مهدي في لواء إربد، و«بنو حميدة» في شرقي الأردن. وإلى بني حميدة تنسب حمولة «البريمات» في قرية بني سهيلة في جوار خان يونس..

ومن جذام: قبيلة بني صخر في شرقي الأردن، وتعود الكعابنة في نواحي الخليل إلى بني صخر.

• **قبيلة «لخم»:**

كانت «لخم» منتشرة قبل الإسلام في الشام والعراق، وباديتهما، وفي مواقع متعددة من فلسطين[2]، وزعموا أن الذي استخرج يوسف بن يعقوب من «الجُبّ» عام (1678 ق.م) هي القافلة اللخمية التجارية بقيادة مالك بن دُغر اللخمي، وهو من جزيلة (من لخم)[3].

---

(1) نزل قسم من هذه القبيلة قرية «حجة» من قضاء نابلس. وإلى هذا القسم تنتسب عائلة «بيدس» في الشيخ مونس ويافا، وعائلة «البطة» في خان يونس، و«السعيد» في يافا. والله أعلم.

(2) قال الهمداني في كتاب «صفة جزيرة العرب» (ص271): أما مساكن لخم، فهي متفرقة، وأكثرها بين «الرملة» ومصر في الجفار، ومنها في الجولان، ومنها في حوران والبثنية، ومدينة «نوى». وقال (ص 273): «والمغار» ـ قضاء الرملة ـ منزل للخم..

(3) ونحن ننقل هذا الخبر، للدلالة على قدم اتصال لخم بأرض فلسطين عن طريق التجارة، وإذا لم يكن من «لخم» بهذا الاسم، فإنه يكون من الأجداد القدماء.

ومن لخم: قبيلة «نُمارة»، ومن نمارة ملوك الحيرة في العراق، وهم آل المنذر الذين تولوا الملك على العرب في العراق لأكاسرة الفرس، منافسين الغساسنة في الشام، الذين كانوا يدينون بالولاء للبيزنطيين.

ودانت قبيلة لخم في الشام بالنصرانية، وقيل: إن أصحاب الكهف ـ المذكورين في القرآن ـ من قبيلة لخم[1].

وفي أواخر القرن الثاني للميلاد نزلت فرقة من بني لخم جنوبي فلسطين، وامتدوا في غربيّ البحر الميت.

وفي القرن الثالث الميلادي نرى لخماً وغيرها من القبائل العربية تحارب مع جيوش «زنوبيا»[2] إمبراطور الرومان «غاليانس» (253 ـ 268م)، وينتصرون عليه.

ونزل اللخميون «المغار» من أعمال الرملة، وكانت ديارهم من المغار إلى الداروم (دير البلح)، ثم الجفار ـ والجفار: رمال إلى حدّ الغرما في سيناء ـ، ثم نزل

---

(1) يرى بعض المؤرخين أن قرية «الرجيب» في جنوب عمان، مسافة 12 كيلاً، هي قرية «الرقيم» التي أوى إليها أصحاب الكهف، وربما كان ذلك في بداية بعثة عيسى ـ عليه السلام ـ؛ حيث طارد الروم الوثنيون أتباع عيسى. والله أعلم.

(2) زنوبيا ـ أو «زينوبيا» بمعنى «زينب» ـ هو الاسم الروماني، واسمها عند العرب «الزبّاء» بنت عمرو بن الظرب. . الملكة المشهورة في العصر الجاهلي، صاحبة «تدمر» وملكة الشام والجزيرة الفراتية، يسميها الإفرنج: زنوبيا. قيل: إن أُمها يونانية من ذرية كليوباترا ملكة مصر. . وليت «تدمر» ـ وكانت تابعة للرومان ـ بعد وفاة زوجها أو بعد مقتل أبيها سنة 267م، ولم تلبث أن طردت الرومان، وحاربتهم، فهزمت «هيرقليوس» القائد العام لجيش الإمبراطور «غاليانوس»، واستقلت بالملك، فامتد حكمها من الفرات إلى البحر المتوسط، ومن صحراء العرب إلى آسيا الصغرى. أما خاتمة أمرها، فإن العرب يروون قصة خلاصتها أن الزبّاء قتلت جذيمة الوضاح ملك العراق، فاحتال ابن أخت له اسمه عمرو بن عدي حتى دخل قصرها وهمَّ بقتلها، فامتصت سُمّاً قاتلاً، وقالت: بيدي، لا بيد عمرو. أما مؤرخو الإفرنج فإنهم يقولون: إن الإمبراطور «أورليانوس» قاتلها، وانتصر عليها. . وحُملت أسيرة إلى رومية سنة 284م، فاشتد غمها، وماتت همّاً، والله أعلم بالحقيقة.
ويُنسب إليها في كتب الأدب رجز تقول فيه:

مـــا للجمـــال مشـــيها وئيـــدا أجنـــدلاً يحملـــن أم حديـــدا

فإن صح ذلك، فإنها قد كانت تتكلم العربية العدنانية الأخيرة، ويشير إلى انتشار اللهجة العربية الأخيرة في وقت مبكّر من القرون الميلادية في بلاد الشام.

اللخميون حول الرملة إلى نابلس، كما كانت لهم «تبوك» إلى زُغر ـ غور الصافي، ثم بحيرة لوط (البحر الميت)، واستقروا في الخليل وجبالها، وفي صفورية، ونزل قسم منهم حوران والجولان وغيرها. [معجم قبائل العرب لكحالة جـ3].

• وفي السنة التاسعة من الهجرة وفد على رسول الله في المدينة وَفْدٌ من «نُمارة» من لخم، على رأسه تميم بن أوس الداري. . وكتب لهم رسول الله بإقطاعهم بلاد الخليل، بعد الفتح الإسلامي، فكان لهم ذلك، واستلموا الإقطاع بعد الفتح.

ومن مشاهير قبيلة لخم في العصر الإسلامي:

الإمام المحدّث سليمان بن أحمد الطبراني ـ نسبة إلى طبرية[1] صاحب المعاجم في الحديث النبوي.

والقاضي الفاضل: عبد الرحيم بن علي اللخمي العسقلاني، وزير صلاح الدين الأيوبي.

• وينسب إلى «لخم» القائد المشهور: «موسى بن نصير». ويترجم له أهل فلسطين على أنه من رجالات فلسطين، ويفاخر به أهل الخليل ـ بالخاء المعجمة ـ على أنه من ديارهم.

مع أن قصة «موسى بن نصير» ما يستطيع أحد أن يجزم فيها برأي، أو يرجح رأياً على رأي آخر. كلُّ ما نستطيع أن نجزم به هو أن الرجل كان موجوداً في العصر الأموي، وأنه ـ مع طارق بن زياد ـ قائد فتح الأندلس. أما ولادته، وأصله، ونشأته، وعمله قبل فتح الأندلس، فلم يتفق المؤرخون فيها على رأي، وفيها تهويلات تشبه الأساطير.

أما مولده، وأصله: فقيل: إن أصله من «عَيْن التمر» للشرق من الكوفة، ومنهم مَنْ قال: إنه ولد بقرية «كَفْر توثا» من أعمال الجزيرة الفراتية، وأرجع بعضهم أصله إلى «وادي القرى» بالحجاز. وقيل: إنه من جماعة من العجم سباهم خالد بن الوليد، فادعوا أنهم من بكر بن وائل.

---

(1) القياس في النسبة إلى طبرية «طبريّ»، ولكنهم قالوا: «طبراني»؛ لتمييزه عن «الطبري» المنسوب إلى «طبرستان» مثل المؤرخ الطبري، ولكن أهل القرن العشرين الميلادي قالوا: «الطبريّ» لمن نسب إلى طبرية في فلسطين.

وقال البلاذري: كان نصير أبو موسى سُبي أيام أبي بكر من جبل الجليل - بالجيم - بالشام وُولد له موسى بقرية «كفْر مري».

وقال ياقوت: سبي نُصير من جبل الخليل - بالخاء -، وولد له موسى بقرية «كفر مُثرى»..

أما فتحه الأندلس، ففيه من التهاويل والأخبار ما لا يصدق.

منها: أن طارق بن زياد رأى النبي محمداً قبل الغزو، وحثه على الفتح؛ مما يدل على أن القصة وُضعت في قرون متأخرة؛ لأن قصص رؤية النبي في المنام كثرت في عهد المماليك، أو قبله بقليل، أو بعده.

ومنها: أن موسى نقم على طارق، وحسده، مع أنه هو الذي أرسله، والقائد لا يحقد على جنوده..

ومنها: أنّ طارقاً ومغيثاً حقدا على موسى، ووشيا به عند سليمان.

ومنها: قصة حقد سليمان عليه، ونكبته، أو أن الوليد هو الذي نكبه.

ومنها: قصة الغنائم.

ومنها: كرسي سليمان، وأن شيطاناً خرج من قمقم وقد تكلّم.

ومنها: الحجر المكتوب عليه: ارجعوا يا بني إسماعيل..

ومنها: نبوءَة المرأة العجوز لطارق..

فأخبار موسى وطارق والفتح قريبة الشبه من قصص ألف ليلة وليلة، أو أشبه بالقصص الذي كان يذكره القصاص والمذكِّرون، ويخترعون فيه المشوقات، وهي أشبه بالقصص المذكورة في كتاب «فتوح الشام» المنسوب للواقدي، ولم يخطّ فيه الواقدي حرفاً، ولذلك نقل المقَّري في «نَفْح الطيب» عن لسان الدين الخطيب قوله: «وحديث الفتح، وما مَنَّ الله به على الإسلام من المنح، وأخبار ما أفاء الله من الخير، على موسى بن نصير، وكُتب من الجهاد، لطارق بن زياد: مملول قُصّاص وأوراق، وحديث أُفول وإشراق، وإرعاد وإبراق، وعظْم امتشاش، وآلة معلقة في دكان قشّاش» [جـ1/ 230]. وانظر، واقرأ: الباب الثاني من الجزء الأول من «نفح الطيب»؛ فإنك تستمتع بأدب وقصص، ولا تأخذ شيئاً من علم التاريخ. والله أعلم.

ومن العجيب أن الذهبي في ترجمة موسى بن نصير في كتاب «سير أعلام النبلاء» نقل بعض القصص دون أن ينقدها، وهو الرجل العالم بطرق نقل الحديث.. وفي طبعته الأخيرة (لدار الرسالة) أشرف على طبعه الشيخ شعيب الأرناؤوط، المحسوب من أهل التحقيق والدراية بالرواية، ولكنه لم يكتب نقداً لما رواه الذهبي من القصص الموضوع.

قلتُ: إن رجال الحديث النبويّ يهتمون بسند الخبر ومتنه، إذا وصل الخبر إلى رسول الله، وله علاقة بالحلال والحرام. وقد يتساهلون في السند إذا تعلق الخبر بالترغيب والترهيب، وكذلك يتساهلون في رواية الأخبار التي تنسب إلى رجال من التابعين، ومَنْ بعدهم، مع أن الكذب على الآخرين مكروه؛ لأنه مأخوذ من كراهية الكذب على رسول الله؛ لأن الأحاديث النبويّة الصحيحة تشريع للحياة كلها.. وينطبق على الناس جميعاً. والأخبار المروية في قصة موسى بن نصير: أساءَت إليه؛ لأنهم جعلوه حاقداً على طارق، وأساءَت إلى طارق؛ لأنهم جعلوه واشياً بقائده، وأساءَت إلى سليمان بن عبد الملك، خليفة المسلمين؛ لأنهم نسبوا إليه تعذيب موسى، وقتْل ابنه لأسباب غير معقولة ولا مقبولة، فالتاريخ العربي الإسلامي لم تنقطع القدوة منه، ولذلك يجب تحرير أخباره وتنقيتها من الأكاذيب؛ ليُعلم أن المبادئ بقيت سائدة، وأن الخير موجود في العهد النبوي، وبقي موجوداً في العهود التالية. والله أعلم.

هذا، وإن أعقاب قبيلة لخم ما زالوا في فلسطين، وما زال كثير من أهل فلسطين يذكر نسبته إليهم:

منهم: «بنو نبهان» من قبيلة الحناجرة في بئر السبع، وآل النبهاني في «إِجزم» من أعمال حيفا، وتقي الدين النبهاني من أعلام الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، وقبله الشيخ يوسف النبهاني.

ومن أعقاب لخم: عشيرة «المساعيد» في الغور النابلسي، و«دار الديك» في «كفْر الديك» من قضاء نابلس، و«آل قفّه» في «سيلة الظهر» من قضاء جنين.

ورهط «تميم الداري» يقيمون منذ القديم في مدينة الخليل وبلادها، ويكثرون في نابلس وجنين ويافا، باسم «التميمي». وفي الكرك ـ شرق الأردن ـ تذكر عشيرة المجالي بأنهم ينتسبون إلى تميم الداري..

• **الغساسنة:**

ملوك الشام قبل الإسلام.. وشواهد وجودهم في الشام متواترة، في الحديث والشعر.. ففي حديث البخاري الطويل في كتاب الوحي: «ثم دعا ـ هرقل ـ بكتاب رسول الله الذي بعث به دحية الكلبي إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل..».

وعظيم بصرى، هو الحارث بن أبي شمر الغساني، أحد أمراء غسان، بعث النبي إليه بكتاب كي يدفعه إلى هرقل ملك الروم، وتوفي الحارث سنة 8هـ.

وقصة حسان بن ثابت والنابغة الذبياني مع ملوك الغساسنة مشهورة، وما قالاه من القصائد في مدحهم مروية بطرق موثوقة إن شاء الله..

وورد في شعر حسان عدد من الأماكن التي كانت من مساكن الغساسنة منها: داريّا، وجلق، والجولان، وجابية الجولان، و«عدرا» و«بلاس»..

وقصة جبلة بن الأيهم في زمن عمر بن الخطاب مشهورة، وإن كانت قد دخلها الوضع.

وكانت منازلهم في حواران، وغوطة دمشق، وتدمر، وحمص، واليرموك والأردن..

وكثير من نصارى سورية في حوران، ونصارى الأردن وفلسطين ولبنان ينتمون إلى الغساسنة.

ومن أعقاب الغساسنة:

عائلة «الحدادين»، كانوا يسكنون بلدة «بسكنته» على سفح جبل صنين في لبنان. وتفرع عنهم بنو الحداد في «بسكنته، وكسروان، والشوف»، وبنو «مسلّم» في

زحلة، (وفي بير زيت بفلسطين)، وبنو الصايغ في الشوير، وبنو الكوري في البقاع، وبنو «الرياشي» في الخنشارة، وقاع الريم.

وأما الفرع الذي نزل بشرقي الأردن، فقد تفرق في قرى «عنبة»، وسموع، وخنزيرة، و«دير أبو سعيد» بمنطقة عجلون والصلت بالبلقاء.

وآل «قعوار» من الغساسنة. ويعرفون في الفحيص بآل السماري، وهم فروع عديدة يقطنون الناصرة، وحيفا، وعمان، والفحيص. والعزيزات، والمعاعية في نواحي الكرك. ويكثر العزيزيات في «مرجعيون»، ووادي التيم في جنوبي لبنان، وهي من أكبر عشائر «مأدبا». وبنو نمر المقيمون في الحصن من أعمال إربد من الغساسنة. وآل الخازن، وآل ملحة في لبنان من الغساسنة. وفي بلدة «صدد» من نواحي حمص: عائلات: السمعاني، وعواد، ومسعد، والشدياق، والدبس، وآل المعلوف، وآل عطية في لبنان من الغساسنة. وأكثر سكان الناصرة النصارى من لبنان وحوران، وجلهم من عرب غسان. وعائلات حوران النصرانية الغسانية كثيرة، ومنها: عشيرة «الشنايعة».

ومما يجدرُ ذكره، ما قاله ابن خلدون في تاريخه (جـ2/ 77): أن جماعة من الغساسنة الذين لحقوا بالروم بعد منصرفهم من الشام ـ بعد الفتح الإسلامي ـ ظلوا في القسطنطينية، حتى انقراض ملك القياصرة، وبعد ذلك نزلوا بلاد الشركس الواقعة بين بحر خزر، والبحر الأسود، وهناك اختلطوا بالشراكسة، دخلت أنساب بعضهم في بعض، حتى ليذكر كثير من الشركس أنهم من نسب غسان. والله أعلم.

• قبيلة عَنَزَة: (العدنانية):

عَنَزَة (بمعنى: العصا الطويلة) بن أسد[1] بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان: فهي قبيلة عدنانية. كانت مواطنها في أواسط نجْد، بينه وبين شمال الحجاز، ودخلوا إلى بلاد الشام في العصر التركي ـ بعد سنة 1517م؛ حيث شرعت بعض بطون عنزة

(1) هناك فروق بين «الأسْد» و«أسد»، أما الأولى، فهي لغة في «الأزْد» بالزاي، وهي قبيلة يمانية. أما «أسد»، فهي بلفظ الحيوان المعروف قبيلة عدنانية.

تخرج من نجْد وتزحف شمالاً طلباً للرعي والماء، وتمكنت من دخول حوران وشرقي الأردن، وانتزعت السيادة من «السردية»، وطردت معظمهم إلى وادي الأردن.

وقبل عام 1761م كانت عنزة أكبر عشائر بادية الشام، واخترقت أواسط سورية، ونازعت عشائر حمص وحماة سيادتها، وتمكنت من الانتصار على عشائر حلب، وبذلك أصبحت عنزة سيدة بادية الشام حتى وادي الفرات وأطراف العراق، وتعدُّ أعظمَ القبائل العربية، ولها بطون عديدة في شمال الحجاز ونجد والشام وبادية الشام والعراق، وقد استقرَّ قسم من بطون هذه القبيلة (في السعودية وساحل الخليج)، وبقي قسم منهم على ترحاله[1] مثل عرب «الرولا»، و«ولد علي»، والدهامشة.

ونذكر من أعقاب عنزة في فلسطين والأردن، وسورية: العشائر، والحمايل التالية:

قبيلة «الترابين» في بئر السبع، وتعود بأصلها إلى بني عطية الحجازية (العطوي) التي تعرف أيضاً بـ «عرب المعازة» نسبة إلى «معاز بن أسد» جدّ عنزة. وعشيرة «النتوش» (النتشة) أو العطاونة من التياها من بني عطية. وينسب إلى النتوش (آل النتشة) في الخليل، وإلى هؤلاء عائلة «الهباب» في يافا.

وفي شرقي الأردن أفخاذ ينسبون إلى بني عطية، منها: (عيال هليلة) في محافظة الكرك.

وعرب السوالمة في نواحي يافا، من الرولة.

والرولة: أكبر عشائر عنزة في الجمهورية السورية.

ومن الرولة: عشيرة النصيرات في منطقة بني عبيد في محافظة إربد.

وعائلة «الصغير» التي يعرف أعقابها بآل الأسعد ـ في لبنان ـ تنتسب إلى السوالمة من الرولة.

---

(1) يحسن أن نذكر قبل هذا الخبر كلمة «كان، أو كانت»؛ لأن المعلومات المتوفرة لدينا تخبر عن أواخر العصر التركي، ومنتصف القرن العشرين الأول، ثم طرأت أحوال اجتماعية جديدة، بل طرأت أحوال سياسية جديدة، صار يصعب معها، أو يمتنع تنقل رعاة الإبل والغنم خارج حدود القطر الذي يحمل هويته.

وعرب العنوز في قضاء حيفا كانوا يقيمون في قرية المراح.

وحمولة «المشطة» ودار ناجي، ودار علي في كفر الديك، من ولد علي من عنزة.

والعبيدات في محافظة إربد، و«الجزازية» في السلط، من ولد علي من عنزة.

وحمولة «النعيرات» في ميثلون من قضاء جنين، وبعض سكان النزلة ـ قضاء غزة ـ و«علار» من عنزة.

و«العلي» في شرقي الأردن، وجبل العرب (الدروز)، وهم من الدهامشة.

• بنو كنانة:

من القبائل العدنانية في جهات مكة. . نزل بنو كنانة «جند فلسطين»، واستقروا في جوار عسقلان.

ومن أشهر بني كنانة: أحمد بن علي، المشهور بابن حجر العسقلاني (773 ـ 852هـ = 1372 ـ 1449م)، وهو الفقيه المؤرخ المحدث، نزل آباؤه مصر بعد خراب عسقلان عام 669هـ. من أهم مؤلفاته «الإصابة في تمييز الصحابة»، و«فتح الباري في شرح صحيح البخاري».

وإلى بني كنانة تنسب عائلة «الخطيب» في القدس، وهي المذكورة في المصادر القديمة باسم: «ابن جماعة».